حققتها م.ت.ف. اتيح لهذه الاخيرة الاشتراك في العملية الدبلوماسية ، عبر الانضمام الى النظام الاقليمي العربي، كشريك وليس كمأمور، مما يؤمن لها الدعم والحماية، في مقابل قبولها بالشرعية السياسية والاخلاقية والتاريخية لذلك النظام الاقليمي.

وبناء على ذلك، اعتمدت استراتيجية م.ت.ف. منذ منتصف السبعينات، على تعبئة ما يكفي من التأييد الدولي للحصول على مطالبها الجغرافية «المخفضة»، باقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة. ووظفت المنظمة مجموعة من الوسائل لانجاح هذه الاستراتيجية، ابرزها الدعم المادي والدبلوماسي العربي، وتعبئة الفلسطينيين الرازحين تحت الاحتلال الاسرائيلي، ثم المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية التي اقامتها م.ت.ف. للوصل فيما بين مجالات النشاط المتنوعة، داخلياً وخارجياً. واذ خدمت تلك المؤسسات حاجات الأسرة الفلسطينية المبعثرة، من ناحية، عملت، من ناحية أخرى، على توفير القوة للمنظمة، وعلى اظهار النضج الوطني الفلسطيني.

رافق هذا النمو تحول في العمل المسلح الفلسطيني ؛ فالى جانب استمرار العمليات السرّية داخل الارض المحتلة، انشغلت القوات الفلسطينية ، بفعل الهجمات الاسرائيلية والتهديد الانعزالي اللبناني، بالترتيبات الدفاعية في لبنان، منذ العام ١٩٧٣ فصاعداً، وانهمك المقاتلون الفلسطينيون في الدفاع عن «الدولة » الكائنة في طور التكوين في لبنان وفي تثبيت مظهر م.ت.ف. كعنصر «دولي» قادر ومسؤول. ودلّ ذلك، عملياً، على انتقال المواقف من اعتبار العمل العسكري شكلاً وحيداً شاملاً للنضال الفلسطيني الى استخدامه شكلاً واحداً من بين اشكال نضالية وادوات سياسية عدة.

وفي ضوء هذا الواقع الجديد، شهدت الاهداف العليا الفلسطينية العملية تعديلاً تكتيكياً، من المطالبة بالهدف الاقصى باقامة الدولة الديمقراطية العلمانية على كامل الوطن الى المطالبة بتأسيس السلطة الوطنية المستقلة على «بعض» الوطن، الى جانب اسرائيل. وقد واكب هذا التغير جدال داخلي شديد، أدى، في بعض الاحيان، الى اعتداءات جسدية على ممثلي م.ت.ف. من قبل الجماعات المنشقة العاملة تحت رعاية حكومات عربية معيّنة. لكن قيادة م.ت.ف. تمكّنت من الاحتفاظ بسيطرتها الاجمالية، وتمسّكت بالمبادرة السياسية داخل المعسكر الفلسطيني، وذلك من خلال ربط قبولها التدريجي بمبدأ التسوية السلمية مع اسرائيل بشرط الحصول على الحقوق الفلسطينية في شكل دولة فلسطينية؛ كما وازت قيادة م.ت.ف. مقتربها السياسي مع اعادة تأكيد التزامها، بالكفاح المسلح واستعادة كامل الوطن السليب. ومرة اخرى، لا مجال هنا لمناقشة دلالات ومغازي الدبلوماسية الفلسطينية كافة، ولا مجال، أيضاً، لمناقشة حقيقة جوهرية، تنبع من المقترب الدبلوماسي، وهي ان م.ت.ف. سوف تضطر، في النهاية، الى تقديم الاعتراف باسرائيل كأمر قانوني de jure وليس كأمر واقع de facto فحسب، لقاء التنازلات الاسرائيلية الفعلية. ان الامر الهام هو قدرة قيادة م.ت.ف. على اظهار المرونة الدبلوماسية وادراج التغييرات الرئيسة في الاهداف السياسية في آن، دون الاضرار بالهوية الفلسطينية، او فقدان الشرعية. بل ويلفت الانتباه تمكن م.ت.ف. من تحقيق تلك التغيرات في غضون فترة وجيزة جداً؛ اذ خلقت في العام ١٩٦٥ حركة وطنية مقاتلة من لاشيء، لتعود وتنقلب من استراتيجية الحرب الشاملة الى استراتيجية النزاع السياسي ـ العسكري المسيطر عليه؛ وكل ذلك خلال عقد واحد من الزمن.

والامر الذي ساعد قيادة م.ت.ف. في اتباع سياستها هو تمتعها بالشعبية الواسعة في الارض المحتلة. لقد نمت هذه الظاهرة بسرعة منذ العام ١٩٧٤، وذلك بتشجيع من انتقال م.ت.ف. الى استراتيجتها المرحلية التي وضعت اقامة الدولة في الضفة والقطاع كأولوية، بالاضافة الى ان